﴿فقد جاء أشراطها﴾

خطبة جمعة

لفضيلة الشيخ الدكتور
مطلق الجاسر
- حفظه الله -

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: لا زلنا معاشر الأحبة الكرام مع أشراط الساعة وما أنبأنا وأخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ مما سيقع بعده بين يدي الساعة، وهناك أمور أذكر نفسي بها وإياكم فيما يتعلق بهذا الموضوع:

أولًا: لماذا على المسلم أن يعرف أشراط الساعة وما أخبر عنه النبي ﷺ؟ نعرف ذلك لأمور، أولًا: حتى يزداد يقيننا ويزداد إيماننا بصدق النبي ﷺ، وعلى المسلم أن يعمل دائما إلى زيادة يقينه وإيمانه، كما طلب إبراهيم عليه السلام من ربه ﷻ أن يريه كيف يحيي الموتى، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة:٢٦٠].

إذا سمعت حديثا قاله النبي ﷺ أنه سيقع كذا وكذا ثم رأيته بعينك فهذا لا شك يؤثر في ازدياد يقينك بهذا النبي الكريم وبهذا الدين العظيم، فما بالك إذا كانت عشرات، بل مئات الأحاديث التي حدثنا بها النبي ﷺ ونحن نراها رأي العين.

الأمر الثاني: حتى يعلم المؤمن أن هذه الدنيا فانية، وأننا نعيش يقينا في أواخر الزمان، النبي ﷺ حلق بالسبابة والوسطى وقال: «**بعثت بين يدي الساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى**»، قال بعض العلماء: كهاتين: أي كالفرق بين طول السبابة وطول الوسطى، إذا حسبنا عمر التاريخ على طول السبابة فإن موعد بعثة النبي ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة هو على طول الوسطى، والفرق بينهما يسير جدا.

وقال آخرون: بل يقصد ﷺ التلاصق بينهما، كما أن السبابة قد التصقت بالوسطى وتلتها مباشرة كذلك الساعة تأتي بعد بعثة النبي ﷺ مباشرة، كل نبي بعث في التاريخ القديم ستأتي بعده أمم وأنبياء، أما نبينا ﷺ فهو آخر الأنبياء وأمته هي آخر الأمم التي ستقوم الساعة عليهم، ولا يعلم أحد إلا الله ﷻ متى ستقع، ولكن نحن نعلم أننا في آخر هذا الزمان. وهذا يستدعي منا يقظة وانتباها وعدم إخلاد لهذه الدنيا ورجوعا إلى الله ﷻ.

الأمر الثالث الذي يدفع المسلم لأن يعرف ماذا أخبر النبي ﷺ عما يقع بين يدي الساعة هو الاستعداد لما أخبرنا عنه النبي ﷺ، وأن نأخذ الأهبة له وأن نستعد له حتى لا يفجأنا هذا الأمر ولا نعرف حينئذ ماذا نفعل.

واعلموا أن ليس كل ما حدثنا عنه النبي ﷺ أن سيكون بين يدي الساعة أنه أمر محرم، أو أنه أمر مكروه أو غير مرغب به، يوجد أشياء مما حدثنا عنها النبي ﷺ أنها ستكون محرمة ومكروهة، وهناك أشياء لا تعني أن تكون محرمة بالضرورة كما مر معنا وسيمر معنا إن شاء الله.

روى الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتكثر الفتن ويظهر الهرج، القتل، القتل، وحتى يفيض المال**»، هذه علامات ذكرها النبي ﷺ، تحدثنا عن بعضها فيما مضى، يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم**» أي العلم الشرعي، العلم بالكتاب والسنة، كلما مضى الزمان كلما تناقص العلم، وقد قال ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهلا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**»، وهذا أمر مشاهد، قبض العلم وقلته وكثرة من يتكلم في دين الله ﷻ من غير أهله، حتى يفتي الناس وهو ليس من أهل العلم فيضِل ويضَل.

حتى يقبض العلم وتكثر الفتن، والفتن لا أظن أحدا يشك في كثرتها، فتن الشهوات وفتن الشبهات، وفتن القتل والحروب بين الناس، وهذه كلها بأنواعها لا يشك أحد في كثرتها وانتشارها في مشارق الأرض ومغاربها.

ويتقارب الزمان، هذه العلامة حدثنا عنها النبي ﷺ قبل ألف وأربعمائة سنة، ألا تشعرون بها إخواني الكرام في هذا الزمن؟ ألا تشعرون بتقارب الزمان وسرعته كما حدثنا النبي ﷺ؟

وفي حديث آخر برواية أخرة أشرح وأوضح في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة ﷺ يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، حتى تكون السنة كالشهر وحتى يكون الشهر كالجمعة وحتى تكون الجمعة كاليوم وحتى يكون اليوم كالساعة وحتى تكون الساعة كاحتراق السعفة**»، ألا تشعرون بذلك؟ ألا تشعرون بسرعة الزمان وتتابعه؟

حتى يشعر الواحد منا إذا قارن حياته قديما وحياته الآن يجد أن الزمان قديما كان يطول، يأتي رمضان ثم يأتي رمضان الآخر بعده بمدة، الآن يأتي رمضان بعده رمضان بشكل سريع، الكل يقر بذلك.

لذلك شراح الحديث لما شرحوا هذا المعنى ما معنى تقارب الزمان الذي أخبرنا عنه النبي ﷺ أنه سيكون بين يدي الساعة؟ فانقسموا على قولين، ولا مانع من أن كلاهما صحيح، قال بعضهم: المقصود قلة بركة الزمان، أن ما كنت تفعله في ساعة يمر اليوم ولا تستطيع أن تنجزه، وما كنت تفعله في يوم لا تنجزه في أسبوع، أشاروا إلى أن المعنى هو قلة بركة الوقت.

وقال آخرون القول الثاني وهو: أن المقصود تسارعه حسيا بألا تشعر به، فيمر اليوم مرورا سريعا وكذلك السنة وكذلك العمر دون أن تشعر به، وهذا إخواني لا أظن أحدا يشك في وقوعه.

وذهب بعض العلماء المعاصرين إلى معنى آخر يقرب من هذا المعنى الثاني وهو أن المقصود انتشار وسائل المواصلات السريعة ووسائل نقل المعلومات السريعة، حتى أن الإنسان الذي يسافر شهرا قديما يسافر نفس المسافة اليوم في أقل من ساعة أو في ساعة، فتقارب الزمان يحتمل أن يكون هذا معناه، أي سرعة التنقل وظهور تلك الوسائل الحديثة التي ساهمت في سرعة انتقال الناس، وكذلك ساهمت في سرعة انتقال العلم والمعلومات من مكان إلى آخر.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الفتن ويتقارب الزمان ويظهر الهرج وهو القتل، القتل، ويفيض المال، وهذا ما حدثنا عنه النبي ﷺ في عدة أحاديث، كثرة المال وانتشاره، ويفيض المال، وقد جاء في مسند الإمام أحمد أيضًا عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة**».

بين يدي الساعة تسليم الخاصة، أي أن يمر الإنسان على الإنسان فلا يسلم عليه إلا إذا كان من معارفه وخاصته، لا يسلم إلا على من يعرفه، أما إذا لم يعرفه فلا يسلم عليه خلافا لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، كانوا إذا مروا في مكان في السوق وغيره إذا رأى أحدهم الآخر سلم عليه ولو لم يكن يعرفه.

فحدثنا ﷺ أن مما سيكون بين يدي الساعة تسليم الخاصة، ينظر الرجل إلى وجه الرجل فلا ينطق بالسلام عليكم حتى يتأكد، وإذا سلم عليه سأله صاحبه: أتعرفه؟ كأن السلام لا يكون إلا لمن يعرفه الإنسان، وهذا حدثنا عنه النبي ﷺ.

بين يدي الساعة تسليم الخاصة وفشو التجارة، انتشارها وسهولة دخولها للجميع، حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وهذا أيضًا قد وقع وأصبحت الآن التجارة لها طرق كثيرة جدا، حتى أصبح الإنسان يتاجر بهاتفه فقط، يبيع ويشتري ويعرض في هاتفه، وانتشرت الأسواق، وقد حدثنا أيضًا النبي ﷺ عن تقارب الأسواق، قال ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تتقارب الأسواق**»، وهذا أيضًا نراه، تقارب الأسواق، كثرتها حسا، وقد كانت قديما لا يوجد في المدينة الواحدة أو القرية الواحدة إلا سوق واحد، أما الآن فقد انتشرت الأسواق وكثرت في كل مكان في العالم.

وتقاربت من جهة أخرى عبر وسائل التواصل الحديثة وعبر وسائل النقل الحديث، فأصبحت الأسواق العالمية واضحة للجميع يستطيع الإنسان أن يدخل كل سوق وهو في بيته، من حدثنا عن ذلك؟ النبي ﷺ، كأن النبي ﷺ يصف لنا حياتنا التي نعيشها اليوم، يذكر لنا أمورا لم تكن موجودة عندهم يحدثنا بوقوعها ﷺ.

كذلك مما حدثنا عنه النبي ﷺ ومما ينبغي أن نأخذ الحذر منه وأن نستعد له هو عودة الشرك إلى جزيرة العرب، في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**» ذو الخلصة هذا صنم معروف موجود في جنوب الجزيرة العربية، لا زال إلى اليوم يسمى المكان الذي كان موجودا فيه باسمه،

وادي ذي الخلصة، إذا دخلت على الخريطة الإلكترونية اكتب ذا الخلصة سيظهر لك مكانه، ومكانه الذي كان عليه معروف إلى اليوم في جبل صغير هناك في بلاد زهران.

أخبرنا النبي ﷺ أن الساعة لن تقوم حتى تضطرب أليات نساء دوس، ودوس قبيلة معروفة لا زالت إلى اليوم موجودة في نفس مكانها التي كانت فيه أيام النبي ﷺ، تعيش في نفس المكان بقرب وادي ذي الخلصة، وهل حدث ما أخبرنا عنه النبي ﷺ أم لا؟

قال بعض المؤرخين أن هذا قد حدث قبل ما يقارب مائتين أو ثلاثمائة سنة، لما فشا الجهل في تلك الديار عادوا إلى تعظيم هذا الجبل الذي كانوا يسمعون أجدادهم يعظمونه وأنهم بدأوا يتبركون به ويطوفون حوله.

وقال آخرون: بل لم يحدث هذا الأمر وقد يحدث، بل سيحدث كما حدثنا عنه النبي ﷺ.

في حديث آخر يقول ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**»، إذًا ونحن نسمع هذه الأحاديث يجب علينا أن نأخذ حذرنا وأن نربي أولادنا وأبناءنا على التوحيد، وألا نسمح بتسرب الشرك بصوره وأشكاله فينا وفي مجتمعنا حتى نكون مستعدين لما حدثنا عنه النبي ﷺ.

قد يدخل الشرك أحيانا بغير صورته، يدخل على شكل دورة في التنمية الذاتية مثلا، وكم من دورة تسمى دورة في التنمية الذاتية وهي في الحقيقة نوع من أنواع الشرك، يضعون صنما صغيرا ويعملون طقوسا ما أدري من أين أخذوها من دين هنا أو هندوسية هناك ويسمونها دورة في التنمية الذاتية، أو في الطاقة أو في نحوها، وقد وقفت على أشياء تحدث في بلدنا هذا من أنواع الشرك تحت مسمى هذه الدورات ما يشيب له الرأس، وهذا مصداق ما حدثنا عنه النبي ﷺ.

فأسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يجيرنا وإياكم من الشرك وأهله وأن يحيينا وإياكم على التوحيد والسنة حتى نلقاه ﷻ.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته، ولا عيبا إلا سترته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لك فيها رضا ولنا فيها صلاح إلا يسرتها وأتممتها يا رب العالمين.

اللهم فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين، اللهم أمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، ووفق للحق إمامنا وولي أمرنا يا رب العالمين.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.